

(١)

النفاق والخيانة وخطرهما على الأفراد والدول

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله، القائل في حديثه الشريف: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ " ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، **ويعبد :**

فمما لا شك فيه أن النفاق داءٌ عضالٌ ، ووباءٌ قتالٌ ، مهلكٌ للأفراد والأمة ، فهو من أخطر الأمراض القلبية التي تعصف بحقيقة الإيمان ، وتنقض أسسه ، وتهدم أركانه ، وهو آفة اجتماعية وخلقية خطيرة تهدد أمن المجتمع وسلامته واستقراره ؛ لذا فإن خطره أشد من خطر الكفر والشرك؛ لأنه داءٌ إذا دب في جسد الأمة نخر عظامها، وفرق كلمتها. كما أن سلاح الخيانة والعمالة هو أخطر ما يهدد كيان الدول ووجودها على مدار التاريخ ، الذي يعد خير شاهد على أن الدول التي اضمحلت أو تمزقت أو حتى اندثرت إنما أتيت وأسقطت من داخلها ، وكان للخونة والعملاء والمأجورين على حساب وطنهم دور كبير في ذلك على مدار التاريخ البشري ، فدائماً الأخطار التي تتهدد الدول من داخلها أكبر وأخطر بكثير من تلكم الأخطار التي تتهددها من خارجها.

على أنه ينبغي أن نعلم أن النفاق نوعان : أكبر ، وأصغر ، **النوع الأول:** النفاق الأكبر وهو أخطر النوعين، وهو النفاق الاعتقادي الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر،

(٢)

وهذا النوع، يُخلد صاحبه في النار، بل يجعله في الدرك الأسفل منها ، يقول سبحانه :
{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا}، **والنوع الثاني:** النفاق الأصغر ، وهو النفاق العملي ، وهو انحراف في السلوك ، والتلبس بشيء من علامات المنافقين ، وذلك بأن يظهر الإنسان الصلاح ويبطن ما يخالف ذلك ، وهذا النوع لا يخرج من الدين بالكلية ؛ إلا أنه طريق إلى النفاق الأكبر ، إن لم يتب منه صاحبه .
ولقد حدثنا القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة عن المنافقين وأوصافهم وأخلاقهم ودسائسهم ، فما رأيناها تغيرت عبر الأزمان ، ولا اختلفت باختلاف الأوطان ، ومن أهم هذه العلامات التي يُعرف بها المنافقون :

* **الكذب، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة ، والفجور في الخصومة:** وهي من أبح صفات المنافقين التي وصفهم بها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهي من النفاق العملي الذي بينه النبي (صلى الله عليه وسلم)، حيث قال : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا أُوْتِيَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) ، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال ، أو خصلة واحدة منها كان منافقًا ، وهذه الصفات تعبت بمصالح الأمة ، وتهدف إلى هدمها .

فكثيراً ما نرى المنافق يكذب ليوهم الغير بصدق قوله وفعله، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}، فإذا ذكر النفاق والخداع وخيانة الأمانة في القرآن الكريم ذكر معه الكذب ، قال تعالى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} * في قلوبهم مَرَضٌ فَرَّادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ}، وحذر النبي (صلى الله

(٣)

عليه وسلم) من الكذب مبيهاً آثاره قائلاً : (وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا)، وسئل النبي (صلى الله عليه وسلم) : أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: (نَعَمْ)، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ: (نَعَمْ)، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا؟ فَقَالَ: (لَا). ووصف أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الكذب بالخيانة ، في قوله : (الصدقُ أمانةٌ والكذبُ خيانةٌ...).

وكذلك الخيانة والعمالة فيترتب عليهما قطع أو اصر المحبة ، وتباغض يفضي إلى النزاع والشقاق ، وفساد في المعاملات ، وقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن خيانة الأمانة تكون على صاحبها يوم القيامة خزيًا وندامة ، فقالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءٍ فَيَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فَلَانَ بْنِ فَلَانَ)، ويكون (صلى الله عليه وسلم) خصيمه يوم القيامة ، حيث قال : (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصِمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ).

ومن أخطر أنواع الخيانة خيانة الأوطان وبيعها بثمن بخس وعرض زائل من الدنيا على نحو ما تقوم به الجماعات المتطرفة ومن يوالونها أو يسرون في ركابها وعلى نهجها في بيع أوطانهم بثمن بخس.

ومن الصفات الذميمة التي حذر الإسلام منها : الفجور في الخصومة ، فهي جماع كل شر ، وأصل كل ذم ، وطريق للميل عن الحق ، فيجعل الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، وقد سمى الله (عز وجل) الفجور في الخصومة لداً ، قال تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } ، وعن

(٤)

عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ أَبْعَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِيمُ).

فأهل النفاق أقرب وصف لحالهم أنهم ذوو الوجهين ، بل نراهم في زماننا قد تجاوزوا حدود ذلك بكثير ، فصار لهم ألف وجه ووجه ، وهم شرار الخلق ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه).

ومن أمارات النفاق :

* **الإفساد في الأرض وادعاء الإصلاح** ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ} ، وللإفساد صورٌ متعددة ، منها : الإرجاف في البلاد ، وبث الوهن في نفوس المؤمنين الصادقين ، ودس الأفكار المنحرفة ، والمفاهيم الخاطئة ، ونشر الفتنة بين الناس ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} ، ويقول سبحانه: {وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} ، ويقول سبحانه: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا} ، ومن صور الفساد: بخرس الناس حقهم ، والتقليل من شأنهم ، قال تعالى : {وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} ، ومن صورهِ : الهدم والتخريب ، وقتل الأبرياء ، وترويع الأمنين ، وتعطيل مصالح الناس ، وعدم القيام بالمسؤولية ، وكذلك الرشوة ، والمحسوبية ، وأكل أموال الناس بالباطل .

* **الكسل عن أداء العبادة، والرياء عند فعلها** ، وخاصة في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة ، قال تعالى : {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا

(٥)

قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاعُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، وقال تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ}، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمَنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا)، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: (يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَزِينُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنَ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ).
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً على خاتم أنبيائه ورسوله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من علامات النفاق وأماراته: التحالف مع الأعداء والتواصل معهم على حساب الدين والوطن، بالتجسس، والخيانة، ونقل الأخبار والمعلومات، والإفصاح عن أسرار الوطن، فالمنافق عميل يوالي أعداء وطنه على حساب أهله وجيرانه وأقربائه، يقول الحق سبحانه: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}، ويقول سبحانه: {وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا}، فالمنافق يفرح إذا ألم بالوطن

(٦)

وأبنائه شرّاً ، أو انتشرت فيهم فتنة ، أو تفشي فيهم مرض ، أو أصابهم انكسار ، قال تعالى: {إِنَّ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}.

غير أن المنافقين الجدد قد ضموا إلى تلك الصفات من الكذب ، والخيانة والغدر ، ونقض العهود والمواثيق ، وتأليب الرأي العام ، وخيانة الدين ، ضروباً جديدة من الخداع ، أبرزها المتاجرة بالدين ، واستغلاله لتحقيق مصالح الجماعات التي تريد أن تتخذ من الدين مطية إلى السلطة ، متدثرة في ألوان شتى من التدين الشكلي والتدين السياسي ، فينسبون الإيمان لأنفسهم وينفونه عن غيرهم ، سعيّاً منهم لتوفير الغطاء الشرعي لأعمالهم ، إضافة إلى ما يتسم به المنافقون الجدد من خيانة الوطن وتحقيره وبيعه بثمن بخس .

لقد توعد الله (عز وجل) هذا الصنف من الناس بأن الدائرة عليهم ، وأن غضب الله تعالى يحيق بهم في الدنيا والآخرة ، وأن ما يخططون له من إيقاع المسلمين في الشدة والعنت سيعود عليهم ، قال تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} ، وعاقب الله (عز وجل) أصحاب النفاق الأكبر بالتردد وعدم الاستقرار ، والهلع والفرع عند كل أمر ، قال تعالى: {مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَلاءِ وَلَا إِلَى هُوَلاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} ، وقال سبحانه: {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} ، وصرف الله (عز وجل) قلوبهم عن الفهم عن الله تعالى وعن رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فلا يصل إلى قلوبهم هدى ، ولا يخلص إليها خير ، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} ، وأما عن عقابهم في الآخرة فقال الله تعالى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا

(٧)

تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدْبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ} ، فالعذاب الأول في الدنيا، والعذاب الثاني في القبر ، أما العذاب الأكبر ففي الآخرة ، حيث يجمع الله المنافقين مع من كانوا على شاكلتهم من خصال الشر في النار ، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} ، ويقول سبحانه: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} .

ومن أجل حماية الدول والحفاظ على كيانها وتماسكها وسلامتها فلا بد من يقظة العيون الحارسة لأبنائها الأوفياء المخلصين أفرادا ومؤسسات ، ولا بد من تضافر جهود كل الشرفاء لقطع دابر الخونة والعملاء والمتخابرين مع الأعداء من المجرمين وفضحهم على رءوس الأشهاد ، وجعلهم عبرة لكل من تسول له نفسه أن يسلك سبيل الخيانة والعمالة ، حفاظا على ديننا وأوطاننا وأعراضنا وأنفسنا ومستقبل بلادنا وأبنائنا ، وقبل ذلك كله مرضاة ربنا وحماية أوطاننا والحفاظ على دولنا من أن يصيبها ما أصاب الدول التي قصرت أو تهاونت في مواجهتها للخونة والعملاء وظنت أمرهم هينا ، وما هو في تاريخ الدول بهين .

**اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعيننا من الخيانة
وأسنتنا من الكذب، واحفظ مصر وأهلها**